تحليل سياسي

أزمة سكانية في الأهواز أم رسالة انتخابية؟

نجاح محمد علي – دبي:

مرة أخرى، سلّطت الأحداث الجارية في إقليم خوزستان، جنوب شرقي إيران، الضوء على الأقلية العربية في إيران.

وفيما نفت السلطات الإيرانية وجود «الوثيقة» التي أطلقت شرارة المظاهرات، يُطالب سكان الإقليم بالحصول على حقوقهم الدستورية كاملة.

سلّطت الأحداث الجارية في إقليم خوزستان، جنوب إيران، الضوء، ولو قليلا، على الأقلية العربية في إيران، والتي يتجاوز عددها الخمسة ملايين من العرب الأقحاح، الذين ما زالوا يتمنّون أن يحصلوا على حقوقهم الدستورية وأن يُنصفوا في ظل نظام الجمهورية الإسلامية، الذي قدّموا من أجل قيامه، الكثير من التضحيات.

ومع أن دستور الجمهورية الإسلامية ينظر إلى عرب إيران على أنهم مواطنون من الدرجة الأولى، يحق لهم ممارسة طقوسهم الثقافية باللغة العربية، إلا أنهم يشكون من أن البنود المتعلقة بهذه الحقوق معطلة، رغم أنهم ممثّلون في مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان)، وفي مجلس الخبراء المكلف بعزل أو تعيين قائد النظام (الولي الفقيه)، وحتى في الحكومة.

ويعد الأميرال علي شمخاني (التميمي)، وزير الدفاع الحالي، أعلى مسؤول عربي في الحكومة، ولكن هذا لايكفي لإزالة الشعور القوي بالغبن والإحباط الذي يشعر به سكان الإقليم النائم، على معظم احتياطي إيران من النفط والغاز.

ويتكلم شمخاني العربية بطلاقة، لكنها ليست اللغة العربية النقية التي يعرفها العرب (من خارج إيران) فقد مارس نظام الشاه السابق سياسة «التعريس» [illegible]

وثيقة وتظاهرات

يوم الجمعة ١٥ أبريل الماضي، نظم عدد من عرب إيران، وتحديدا في الأهواز، مركز إقليم خوزستان، مظاهرات سلمية، إثر نشر رسالة طالبت وزارة التخطيط التابعة للرئاسة الإيرانية، بتعديل التركيبة العرقية في الإقليم، وقد نسبت الرسالة إلى حجة الإسلام، محمد علي أبطحي، المدير السابق لمكتب الرئيس محمد خاتمي.

وكالعادة في أية مظاهرات تجري في إيران، فإن الذين يتصيّدون لإيران لإيقاعها في أزمة قوميات وأقليات، نجحوا في إيجاد اضطرابات باتت السمة البارزة لجميع مظاهرات الاحتجاج في البلاد.

وبات واضحا أن التطوّرات الجارية في العراق المجاور، بعد انتخاب زعيم كردي رئيسا للبلاد، تركت بصمتها بقوة على تحرّك القوميات الإيرانية، التي يتواجد فيها من يخطط أو يفكّر بالانفصال، خصوصا وأن الولايات المتحدة التي أصبحت تُحاصر إيران من جميع الجهات، والتي تدعم أو تؤيّد على الأقل أي تحرك ضد النظام، تنظر الى "تفكيك إيران، وتفجيرها من الداخل"، بأنه السلاح الأنجع لإسقاط نظام الجمهورية الإسلامية، والتخلص منه بعيدا عن الحرب وورطة قوية على شاكلة ما حصل في العراق.

أبطحي ينفي

وقد نفى أبطحي على موقعه على شبكة الإنترنت، أن يكون قد صاغ تلك الرسالة التي أصبحت لدى الأهوازيين تُعرف بـ "الوثيقة"، واصفا الحديث بأنه "[illegible]

في الانتخابات التي جاءت به إلى سدّة الحكم عام ١٩٩٧. ومن يعرف أبطحي وحبّه لعرب إيران، ولعموم العرب في العالم وصداقاته الواسعة الممتدة بالطول والعرض، سواء داخل إيران أو خارجها، لا يحتاج إلى هذا النفي، خصوصا وأن أبطحي، المستشار للرئيس، ومساعده السابق للشؤون القانونية والبرلمانية، يعتبر نفسه عربيا أولا، لأنه يُصر على التحدث بالعربية التي لا يُحسنها، في كل المقابلات التي يُجريها له الإعلام العربي.

رسالة انتخابية

وقبل أبطحي، نفى محافظ إقليم خوزستان، فتح الله مُعين، وجود مثل هذه الرسالة، وقال إن الرسالة التي نُسبت إلى أبطحي "مُزوّرة"، مشيرا إلى أنها ترمي لـ "زرع الفتنة وإحداث اضطرابات". كذلك، تعهّد المتحدث باسم الحكومة، عبد الله رمضان زاده، بأن تتعقب وزارة المخابرات والمجلس الأعلى للأمن القومي، مروجي الرسالة وستُلقي القبض عليهم.

ونفى الإصلاحيون من خارج الحكومة وجود هكذا رسالة، بل ذهب محمد رضا خاتمي، زعيم جبهة المشاركة الإسلامية، أكبر الأحزاب الإصلاحية (وهو شقيق الرئيس)، إلى أبعد من النفي، حين اتهم جهات من المحافظين بتزوير «الرسالة» والترويج لها للتأثير في المعركة الانتخابية القادمة على الرئاسة، واعتبر في تصريحات مُثيرة أن المحافظين يقفون خلف افتعال هذه الأزمة، بعد أن تأكّد لهم أن مُرشح الإصلاحيين (وزير التعليم العالي مصطفى معين)، سيحصد أصوات العرب في الانتخابات.

ملف العرقيات

بدورهم لم يبد على سكان الأهواز وعموم سكان خوزستان، الاكتراث بالسجال الدائر بين المحافظين والإصلاحيين حول سبب الأزمة الأخيرة، لأنهم يعتقدون أساسا أن المظاهرات هي للاحتجاج على سياسات الحكومة المركزية الرامية إلى تنفيذ مخططات تعديل التركيبة السكانية، ويؤكّدون أنها "موجودة على الواقع، كبناء المستوطنات، وتهجير العرب إلى مناطق أخرى، وعدم تدريس اللغة العربية بالمدارس الابتدائية".

ويرفض هؤلاء تعليق أسباب الأزمة وكل ما يعانونه على شماعة الخارج، بالرغم من أن بعض التنظيمات التي تدعو إلى الانفصال، تتّخذ من الخارج مقرًا لها، ويقيم بعض زعمائها في الولايات المتحدة، والتقى عدد منهم مسؤولين أمريكيين، طالبا الدعم.

وفي الغالب، فإن مطالب عرب الإقليم كانت تتلخّص (بعيد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩) في منحهم العدالة والإنصاف من قبل السلطات، وتطبيق بنود الدستور الذي شاركوا في صياغته، بعد أن ساهموا بفاعلية في إسقاط نظام الشاه، إلا أن القراءة في تحدّ [illegible]

شهور، بمشاركة قناة الجزيرة الفضائية" حسب زعمه، مشيرا إلى أن أحد مراسلي القناة ترك إيران هاربا إثر توجيه تحذير جدّي للقناة في شهر رمضان الماضي، وبعد سلسة من التقارير بثتها الجزيرة عن الإقليم، وذهب المصدر إلى حد الحديث عن "مثلث" يتشكّل من قناة الجزيرة والجامعة العربية والولايات المتحدة"، حسب قوله.

وبغض النظر عن صحة هذه الإتهامات من عدمها، فمن المؤكد أن السلطات الإيرانية لا تتهاون في التعاطي مع هذا الملف الدقيق، وكانت طردت في السابق أحد مراسلي قناة أبوظبي من الإقليم عندما كان يصوّر تقارير عن موقف السكان من الحرب التي شنتها الولايات المتحدة قبل عامين لإسقاط النظام العراقي السابق.

الحوار المفقود

ويعتقد عارفون بالشؤون الداخلية الإيرانية أن هذه الأزمة يُمكنها أن تتفاقم وتصل إلى مرحلة تفكيك إيران، إذا لم يحسن الإيرانيون التعاطي معها بعيدا عن الضغوط النفسية والتأثيرات الخارجية، وما لم يبادروا بفتح حوار مُصالحة ومكاشفة مع سكان الإقليم لحلّ مشاكلهم، وتحقيق مطالبهم الدستورية، لغلق منافذ "الفتنة" الخارجية.

وعُلم في هذا السياق، أن الرئيس محمد خاتمي أرسل وفدا من وجهاء العرب، ومن أعضاء البرلمان، وشمخاني أيضا، لتهدئة الأوضاع وتطييب الخواطر، وهي مهمّة صعبة في ظل ظروف إقليمية ودولية بالغة التعقيد.

فقد تحدّثت المعلومات عن استمرار ما أصبح البعض من عرب إيران في الخارج يطلق عليها اسم "الانتفاضة الشعبية" في أغلب مدن الإقليم في الأهواز ومحمرة [illegible]

نبذة تاريخية عن الاقليم

- ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد: شهد الإقليم ميلاد إحدى أقدم الحضارات البشرية، وهي الحضارة العيلامية السامية.
- ٢٣٢٠ ق م: استولى العيلاميون على مدينة أور عاصمة المملكة الأكادية.
- ٢٠٩٥ ق م: غزا الملك البابلي حمورابي أرض عيلام وضمها إلى مملكته.
- ١١٦٠ ق م: فتح الملك العيلامي (شوتروك ناخونته) أرض بابل، حيث استولى على تمثال مردوك أكبر آلهة بابل، ومسلة حمورابي التي عثر عليها الفرنسيون مع آثار قيمة أخرى في مدينة السوس عام ١٩٠١ م.
- ٦٤٠ ق م: أطاح الملك الآشوري (آشور بانيبعل) بالدولة العيلامية.
- ٥٥٠ ق م: احتلال الإقليم على يد الفرس الأخمينيين.
- ٣٣١ ق م: خضوع الأهواز لحكم الاسكندر الأكبر المقدوني، بعد هزيمة الأخمينيين.
- ٣١١ ق م: قيام السلوقيين ببسط سيطرتهم على الإقليم.
- ٢٢١ م: احتلال الاهواز على يد الملك الساساني (سابور الأول).
- ٦٣٧ م: فتح الأراضي الاهوازية على يد المسلمين العرب، بقيادة أبي موسى الأشعري.
- ١٢٥٨ م: احتل الغزاة المغول الاقليم، بعد أن تمكنوا من الإطاحة بالخلافة العباسية في بغداد، ومن ثم ضم الإقليم لدولة الخروف الأسود.